

جغرافيا

Scientific Miracles of the Quia'an Signs of Allah in the Heavens and on the earth.

المعجزات العلمية في القرآن الكريم: آيات الله عز وجل في السماوات والأرض

تأليف: حسن سيد أبو العينين
الناشر: حسن سيد أبو العينين، الكويت (2007)، 375 صفحة
عرض: إبراهيم الرفاعي*

إن كتاب «المعجزات العلمية في القرآن الكريم» باللغة الإنجليزية Scientific Miracles of the Quran لمؤلفه الأستاذ الدكتور حسن أبو العينين الذي نشر في مدينة الكويت في عام (2007) يقع في 375 صفحة من القطع المتوسط. ويتألف الكتاب من قسمين يقعان في ثلاثة عشر فصلاً بالإضافة إلى المقدمة.

يبدأ المؤلف في المقدمة بتعريف كلمة «معجزة» بأنها أمر خارق للعادة يؤيد به الله رسله لتكون برهاناً وحجة على صحة الرسالة. والمعجزة لا تتعلق بالسحر ولا بالكهانة التي تخدع الأبصار ولكنها دليل على طلاقة قدرة الله، عز وجل. وحدث المعجزة لا يعتبر تحدياً لقدرة البشر فقط بل يرى المؤلف أنها دعوة موجهة للإنسان لكي يفكر ويستبصر في مخلوقات الله - عز وجل - والإيمان بعقيدة التوحيد. والمعجزات في الكون تنبه الإنسان على وجود الله (جل جلاله) فالسماوات والأرض وما فيهما مربوب لله. والمؤلف يقسم المعجزات الدالة على الله - عز وجل - إلى خمسة أقسام:

أ - المعجزات أو الآيات الكبرى التي لم يرها سوى الرسول - صلى الله عليه وسلم - بمشيئة الله - عز وجل - وهي معجزة الإسراء والمعراج التي أنعم الله

* قسم علوم الأرض، كلية العلوم، جامعة الكويت، الكويت.

بها - سبحانه وتعالى - على النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد عودته من الطائف (في عام الحزن)، ورؤيته - صلى الله عليه وسلم - السماوات السبع وما فيهن ورؤيته لجبريل - عليه السلام - في صورته التي خلقه الله تعالى عليها ورؤيته لسدرة المنتهى. وكلها أمور غيبية تقع خارج نطاق العلم البشري المحدود، ولا ينبغي أن يتناولها البعض بالدراسة العلمية.

ب - المخلوقات والأمور الغيبية: وهي عديدة وغير مرئية، وعلى المؤمن أن يصدق بها وهي (مثل الملائكة والجن والجنة والنار). ويذكر القرآن أن الله قد خلق الجن والإنس للعبادة ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وهما عاجزان عن أن ينفذا من أقطار السماوات والأرض إلا بسلطان. وكل الأمور الغيبية غير المرئية ليست محل دراسات العلم الوضعي.

ج - الدلائل الكونية المرئية على أن الله - جل جلاله - هو خالق كل شيء: فممنذ أول ظهور للبشر على الأرض وحتى الآن والإنسان مشغول بتفسير أصل الأجرام الكونية ووظائفها ودورانها وأصل الأجسام الكونية التي اعتاد رؤيتها ليلاً ونهاراً. وقد دعت الآيات القرآنية الكريمة الإنسان لدراسة هذه الظواهر المرئية في السماوات والأرض ليتوصل بنفسه إلى أن الله - سبحانه وتعالى - هو وحده وبمشيئته خالق كل شيء. وعلى الرغم من التقدم العلمي الكبير ومحاولات العلماء وضع النظريات التي تفسر حدوث الظواهر الطبيعية ونشأتها، فإن جهود العلماء تظل قاصرة عن تفسير نشأة هذه الظواهر: ويضطر العلماء إلى تعديل النظريات مع تقدم العلم، وهذا مصداق لقوله - عز وجل -: ﴿وَمَا أُوْتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

د - المعجزات الحسية المؤقتة للرسول عليهم السلام: فقد جاء الرسل والأنبياء بمشيئة الله - سبحانه وتعالى - بمعجزات حسية تسمى (دلائل النبوة)، وكان القصد منها تحدي قدرات الناس (الذين كانوا يعيشون في زمن معين وفي مكان معين)، فيما برعوا فيه ليعلموا أن ما جاء به الرسل هو الحق من عند الله عز وجل. لقد أكرم الله - جل جلاله - موسى - عليه السلام - فكلمه تكليماً، وخلق له البحر وقلب عصاه ثعباناً وسبحت الجبال مع داود - عليه السلام - وألان الحديد في يديه.

والله - عز وجل - قد أنطق عيسى - عليه السلام - في المهد لتبرئة أمه (مريم العذراء) من تهمة الزنى، وعندما صار رسولاً إلى بني إسرائيل كانوا

نابطاسيين (مهرة) في الطب، فقد أعطى الله - جل جلاله - عيسى - عليه السلام - معجزات من جنس ما نبغ فيه بنو إسرائيل مثل إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى والعمل من الطين كهيئة الطير، والنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، ويخبرهم بما يأكلون ويدخرون في بيوتهم.

هذه المعجزات الحسية المؤقتة انتهى أداء فعلها بانتهاء مهمتها في الوقت الذي كان محدداً لها، ومن ثم فهي ليست من مجال العلم البشري الوضعي.

هـ - القرآن: المعجزة الخالدة، وهو الوحي من الله لنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم -، ويؤكد الله - عز وجل - أنه بمشيئته سيحفظ القرآن ويحميه من كل تحريف أو تغيير بواسطة أي أشخاص وفي أي زمان، والقرآن الكريم كلام الله ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بسورة من مثله لما استطاعوا.

الجزء الأول - مع آيات الله في السماء:

الباب الأول - معجزات القرآن وعظم مدلولاتها:

يتضمن القرآن 114 سورة، منها الطويلة كسورة البقرة (286 آية)، ومنها القصيرة كسورة الكوثر (3) آيات. وجميع سور القرآن طوالها وقصارها ومتوسطها كلها دالة على إعجاز الكتاب الكريم.

أولاً - القرآن وإعجازه اللغوي:

بتحليل آيات القرآن الكريم يلاحظ تشابه ملحوظ وعلاقات متبادلة مع كلمات معينة مجتمعة وأن مثل هذه الكلمات المزدوجة قد وردت في القرآن بأعداد متشابهة؛ فمثلاً كلمة "الدنيا" وردت 115 مرة، وكلمة "الآخرة" وردت أيضاً 115 مرة، وكلمة "الملائكة" وردت (88) مرة، وكلمة "شیطان" وردت (88) مرة، وكلمة "بحر" وردت "32" مرة، وكلمة "أرض" وردت 13 مرة. ونسبة البحار إلى اليابسة $13/32 = 1:2,46$ وهي النسبة المحسوبة حالياً لمساحة المسطحات المائية واليابس على سطح الأرض.

والإعجاز اللغوي في القرآن أكثر من أن يحصى ويستقصى؛ فكلماته وأسلوبه وبيانه أقحم فصحاء العرب. وكلما أعاد المسلم قراءة القرآن فإنه يكتشف الجديد في كل مرة؛ فكتاب الله متجدد العطاء والبركات ولا ينفد عطاؤه ولا بركاته مع تكرار تلاوته وتدبره بقلب مفتوح، والأساليب اللغوية في القرآن الكريم غير مسبوقة وهي معجزة.

ثانياً - المعجزات العلمية في القرآن الكريم:

المعجزات العلمية ليست مهمة للمسلمين والعرب فقط ولكنها مهمة لكل الناس على اختلاف أديانهم ولغاتهم، وهذه المعجزات تشكل تحدياً لقدرات البشر جميعاً.

ففي أدبيات علم الفلك والجيولوجيا الفيزيائية اقترحت نظريات كثيرة جداً جداً عن أصل الكون ونشأته ووضع العلماء مئات الافتراضات والتوقعات على أصل أحواض المحيطات وإزاحة القارات والصفائح التكتونية، ولكن جميع النظريات ذات تفسيرات نسبية ووصفية وظنية بالمقارنة مع حقيقة المعجزات التي تدل على وجود الله في السماوات وعلى الأرض وأنه سبحانه خالق كل شيء ولا يغني الظن عن الحق شيئاً. إن ميكانيكية وسرعات الحركة لظواهر الكون تفوق كثيراً كثيراً قدرات العلماء، وإن فهم الآيات الكونية في القرآن الكريم يعطي الثقة في الحق اليقيني ويؤكد الإيمان: فالقرآن كتاب الله المقروء والكون كتاب الله المنظور.

فتفسير آيات القرآن يمكن أن يقوم به العديد من المتخصصين. إن اللغويين يبينون الإعجاز والإيجاز البياني في لغة القرآن، وعلماء الفلك والجيولوجيا والبحار يدرسون الظواهر الكونية، وعلماء النبات يدرسون دلائل القدرة الإلهية في النباتات وعلماء الحيوان يدرسون القدرة الإلهية في الحيوانات.... إلخ. وعلوم البشر لا تقدم معرفة أو نتائج ولا تقدم دليلاً مقنعاً لنشأة أي ظاهرة في الكون، والقرآن ليس بحاجة لتأكيد ما فيه بنتائج العلم الوضعي ﴿وَمَا أُوْتِيتُمْ مِّنَ الْغَايِبِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

ويوضح المؤلف أن محتوى النظريات العلمية عن أصل الكون لا ينبغي تطبيقها ولا ربطها في كلام الله الحق - عز وجل - وذلك لأن التفسيرات العلمية للآيات الكونية في القرآن تتغير مضامينها مع تقدم العلم.

وفي سورة «العنكبوت» وغيرها دعوة البشر للنظر ولدراسة الآيات الكونية المرئية ومعرفة كيفية بدء الخلق لكي يحصل اليقين في القلب بقدرات الله - عز وجل - في خلقه وبالיום الآخر: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

إن آيات القرآن يفسر بعضها بعضاً، هذه حقيقة مطلقة (علم مبهمات القرآن) ويحث القرآن على الإيمان بالكتاب كله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾. وعندما يدرك الإنسان أنه غير قادر على معرفة نشأة أي ظاهرة من

ظاهرات الكون المرئية، يدرك المؤمن عن يقين بأن الله - سبحانه وتعالى - هو خالق كل شيء، وتترسخ عقيدة التوحيد في قلبه.

وجهات نظر (آراء) بعض العلمانيين والمستشرقين تجاه تفسير بعض آيات القرآن الكريم:

إن بعض العلمانيين لا يؤمنون بغير المرئي (بالغيب) أو بالأمر غير المعروفة أو قصص الأمم السابقة المذكورة في القرآن وفي الكتب السماوية الأخرى، كما يدعون أن الدين يناقض العلم الوضعي تماماً!!! والمكانة المميزة للعلماء في القرآن الكريم تدل على أنهم أقدر من غيرهم في معرفة قدرة الله - عز وجل - في الخلق. وآيات القرآن خالية من التناقض، ويدعي العديد من العلمانيين أن آيات القرآن تعارض وتناقض الحقائق العلمية، وهذا باطل محض وافتراء واضح جلي؛ فالقرآن الكريم يدعو الناس أجمعين للتفكير المبني على الاختبارات العلمية وألا يتبعوا الضلال الذي كان عليه آبائهم الأقدمون. وتهدف أدلة إعجاز القرآن إلى إقناع حتى غير المسلمين وغير الناطقين باللغة العربية بالإسلام وبالإيمان باليوم الآخر، وأن الله - سبحانه وتعالى - هو وحده وبمشيئته خالق كل شيء في السماوات والأرض. والأمور غير المرئية في القرآن الكريم: كالجنة والنار والملائكة والجن واليوم الآخر هي أمور لا يراها البشر، ومن ثم لا يمكن فحصها طبقاً لقوانين العلم الوضعي.

فسبحان الله عالم الغيب والشهادة، وعلى المؤمن أن يؤمن بالغيب الذي أخبر الله - عز وجل - به في القرآن الكريم. فالعلم البشري الحديث (الآن وإلى يوم القيامة) لا يعرف الامتداد (الاتساع) الحقيقي للسماء الدنيا (الأقرب للأرض) التي لا تزال تتمدد (تتسع) فعندما يبين القرآن أن عرض الجنة كعرض السماوات والأرض، على المؤمن الإيمان بهذا الغيب دون تفسير علمي (سمعنا وأطعنا)، لأن مثل هذه الأمور الغيبية تقع فيما وراء مجال العلم البشري المحدود.

الباب الثاني - في السماوات، السقف المحفوظ:

لقد تكرر لفظ (السماء) 120 مرة في القرآن و(السماوات) 190 مرة، وبالنسبة للبشر فإن السماء تمثل كل الوجود الذي يقع فيه كوكب الأرض.

ويقدر بعد النجوم عن الأرض بالسنين الضوئية، وبعد أقرب نجم عن الأرض يعادل ملايين المرات بعد الشمس عن الأرض ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٠﴾. وفي فجر التاريخ عبد الإنسان الطبيعية، فمنهم من عبد الشمس والقمر والكواكب والنجوم (الصائبون).

لقد أورد المؤلف أنه جاء في العهد القديم (التوراة) أن الله اتخذ من السماء مكاناً له، وارتفع القرآن الكريم بعقل الإنسان إلى أسمى التصورات، ويبين أن علم الله وقدرته تشمل جميع أجزاء الكون، وأنه - جل جلاله - معبود في السماء ومعبود في الأرض، فهو رب السماوات والأرض وهو الذي خلق الزمان والمكان فلا يحدده زمان ولا مكان. إن الدلائل المشيرة لله - عز وجل - في السماء ليست فقط تحدياً لقدرة البشر وعلمهم الوضعي بل ليتعرف البشر القدرة الإلهية العظمى في خلق ظواهر الكون.

السماوات والسقف المحفوظ:

إن المجرات والأجرام والنجوم لا تسبح (تتحرك) عشوائياً في أفلاكها ولكنها بإرادة الله وبمشيئته تتحرك حركات منتظمة في أفلاكها، والقرآن يذكر أنه - عز وجل - قد رفع السماء بغير عمد يراها الإنسان. فقد تكون هذه الأعمدة غير المرئية - بحسب قوانين العلم الوضعي المحدود - هي قوى الجذب وقوى الطرد المركزي، والله أعلم. ولم يشير القرآن مباشرة إلى المادة التي خلق الله - عز وجل - منها هذا الكون، وفي سورة فصلت ورد قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١٠٠﴾.

ولن يصل العلم البشري إلى الحقيقة المطلقة فيما يتعلق بنشأة أي ظاهرة من ظواهر الكون.

وفي تفسير هذه الآية الكريمة من سورة "فصلت" اعتقد بعض المفسرين أن السماء كانت في بدء الخلق دخاناً بينما يرى المؤلف أن القرآن لم "يصرح" بذلك، وإنما تنبه الآية الكريمة إلى أن الله - سبحانه وتعالى - قصد إلى السماء وهي دخان؛ أي عندما كانت في حالة من حالات مظاهرها دخاناً. ولا تدل الآية الكريمة على أن أصل كينونة السماء هو الدخان أو السديم. ويعجز العلم البشري معرفة أصل المادة الأزلية التي قد يكون الكون قد تكون منها. وعلى الإنسان أن يدرك أن الله هو وحده خالق كل شيء بمشيئته، وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، وما أمره إلا كلمح بالبصر.

الباب الثالث - المجرات ومواقع النجوم:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُمْ لَفَسَّحُوا لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾

الواقعة (75-76).

إن مواقع النجوم معجزة في حد ذاتها والتلسكوبات الحديثة تتيح دراسة تلك المواقع وحركة النجوم وإرادة الله - عز وجل - سوف يتمكن الإنسان مع تقدم العلم من تعرف المزيد من النجوم.

والقرآن الكريم ينص: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾. فمنذ القدم عرف الإنسان أن النجم القطبي يشير نحو الشمال وإذا عرف الاتجاه الشمالي عرفت باقي الجهات الأصلية الأخرى في البر وفي البحر وفي الجو، والآيات الكونية في القرآن تجذب انتباه البشر لمعرفة الظواهر المعجزة في السماء وتعينه على أن الله وحده هو الخالق لجميع الكون.

المجموعات النجمية والمجرات: قسم الفلكيون النجوم منذ القدم إلى 88 مجموعة نجمية (مجرات)، والمجرة هي نظام من ملايين وبلايين النجوم والسدم من غبار وغاز متماسك بعضها مع بعض بالجاذبية، ومن حيث الشامل وهي ثلاثة أنواع حلزونية كطريق الحليب - سكة التبانة - التي تنتمي إليها شمسنا، وبيضاوية وهي فيها النجوم المسنة (العجوز) وغير المنتظمة (كسحب ماجلان).

تمدد (اتساع) الكون: باستخدام المطياف لاحظ العلماء حديثاً أن الأشعة الضوئية من النجوم تبدو حمراء في الطيف. ثم استنبطوا أن تلك النجوم تذهب أبعد وأبعد عن مجموعتنا الشمسية. وجاء في القرآن الكريم أن الكون كله يتسع وتزداد سعته باستمرار، ويقول المولى عز وجل: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ سورة الذاريات (47). ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ...﴾ سورة فاطر (1). هذه الحقائق مشار إليها في الآيات القرآنية... الكونية منذ أكثر من أربعة عشر قرناً وقبل أن يعرفها العلم الوضعي.

الباب الرابع - الشمس، السراج الوهاج:

الشمس نجم يتوسط المجموعة الشمسية، وهي تشكل نحو 99,88% من كتلة المجموعة الشمسية كلها. وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم 32 مرة، وفي قديم الزمان عبد بعض الناس الشمس وسجدوا لها (عند الشروق وعند الغروب)، ولا يزال يوجد من البشر من يعبد الشمس. إن الشمس والقمر وجميع ظواهر الكون هي

مربوبة لله عز وجل، والكون ليس من صنع البشر، كما أنه لم يخلق نفسه بنفسه عبر التطور وإنما هو من صنع الخالق جل جلاله ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾. وقد أوضح الفلكيون أن الشمس تدور في فلك حول مركز المجرة: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

الباب الخامس - النظام الشمسي، كواكبه وتوابعه والنيازك والشهب والمذنبات:

تلك هي أجسام كونية ممسوكة بقوة جاذبية الشمس، تلك القوة التي تستطيع الإمساك بالأشياء حتى بعد سنتين ضوئيتين. والنيازك جزيئات من الغبار تصل إلى جو الأرض بسرعة 10 كم/الثانية أو أكثر وتحترق بسبب احتكاكها بغازات الغلاف الجوي للأرض محدثة ضوءاً يستمر لثوان قليلة.

وفي عصرنا الحديث يشير العلماء إلى أن المجموعة الشمسية تتكون من تسعة كواكب، وهي تشكل 0,15% من كتلة الشمس والسنة الأرضية 365.25 يوماً بينما في كوكب عطارد فالسنة 88 يوماً، وفي المريخ 678 يوماً، وفي فينوس (الزهرة) 225 يوماً. والنهار في كوكب عطارد يطول 3 شهور وتصل درجة الحرارة في المتوسط إلى 427°م، ويتبع ذلك ليل لمدة ثلاثة شهور تنخفض درجة الحرارة فيه إلى -173°م (مدى درجة الحرارة يصل إلى ستمائة درجة مئوية)؛ مما يؤكد استحالة حياة الإنسان على هذا الكوكب. وكوكب المريخ الأحمر قد جذب أنظار العلماء إلى إمكانية حياة البشر عليه، وهو مكون من صخور، ويحيط به غلاف جوي من ثاني أكسيد الكربون والنيتروجين والأوكسجين.

والأرض لها تابع واحد هو القمر: وقمر الأرض جسم دافئ وله جاذبية سطحية صغيرة وذو نشاط تكتوني ضعيف جداً، وعلى ذلك فليس له غلاف جوي.

والمذنبات هي كرات ثلجية متجمدة من ثلج وغبار في معظم أوقاتها، خاصة عندما تكون بعيدة عن الشمس، وعندما تصبح قريبة من الشمس يتبخر ثلجها منتجاً الرأس الأول المرئي، وعندما تقترب المذنبات أكثر إلى الشمس فإن غازاتها تدفع ذيلاً نارياً طويلاً. ويرى المؤلف أن الله - تبارك وتعالى - قد حفظ كوكب الأرض من كل شيطان مارد، وجعل من الشهب والنيازك المحرقة (جنود أو حراس السماء الدنيا) رجوماً لكل شيطان مارد. وإذا حاول شيطان الاستماع لما يدور في الملاء الأعلى تتلففه رجوم الشهب والنيازك. ومن ثم تبين للفلكيين أن مسارات

الشهب والنيازك والمذنبات هي في خطوط مستقيمة وليست في مدارات بيضاوية أو دائرية الشكل، أما كيف يستمع الشيطان إلى ما يدور في المأ وكيف يخطف الخطفة وكيف يرجم بالشهاب الثاقب، فهذه الأمور غيبية في علم الله وحده، ولا تقع في مجال العلم الوضعي.

الباب السادس - حركة دوران الكون بمشيئة الله:

إن العلماء عليهم افتراض نظريات أصل الكون وجميع مظاهره ولكن المؤمنين يصلون عن يقين إلى نتيجة حتمية، وهي أن جميع ما في الكون آيات ودلائل على قدرة الله الخالق - جل جلاله - . وإن نشأة أي ظاهرة في الكون لن يدركها العلم الوضعي. يقول المولى - عز وجل - : ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ﴾. إن كل ما في السماوات والأرض مسخر بأمر الله ويسبح ويسجد لله الخالق عز وجل: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾. فالكون كله في حركة مستمرة حتى قيام الساعة؛ فالأرض تدور بمشيئة الله - عز وجل - حول محورها في 24 ساعة (ليل ونهار)، وتدور حول الشمس في 365.25 يوماً - السنة (الفصول الأربعة). ودوران الأرض حول محورها يجعل المعادن تنصهر ومن ثم تنبتق البراكين من باطن الأرض التي هي أساس تكوين الغلاف الغازي والمائي على سطح الأرض. وخلق الله - عز وجل - من الماء كل شيء حي الثقيلة في قلبها (مركزها) مما يؤدي إلى الجاذبية الأرضية. وبداخل المعادن الثقيلة في مركز الأرض تتشكل العناصر المشعة، وتفاعلها الذري يؤدي إلى الحرارة التي تصهر المعادن. وكل ما للأرض ولعناصر الكون قاطبة من خصائص هي من صنع الله - سبحانه وتعالى - وجميعها تؤدي مهامها مسخرة بأمره وبمشيئته.

الباب السابع - أصل الكون من وجهة نظر العلم والدين:

إن جميع الرسل جاؤوا بعقيدة واحدة ألا وهي عقيدة التوحيد بالله - عز وجل - الخالق لكل شيء في السماوات والأرض.

وفي سورة فصلت: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾. وكلمة (وهي دخان) لا تنص الآية الكريمة على أن أصل السماء هو الدخان ولكنها كانت دخاناً في مرحلة من مراحل تكوينها، أما أصل المادة الكونية فلا يعلمه إلا الله جل جلاله.

وفي التوراة (العهد القديم) في سفر التكوين ورد أن الله - عز وجل - قد خلق السماوات والأرض في ستة أيام بكلمة (كن) ثم استراح في اليوم السابع وهو تحريف للتوراة الحقيقية لأن القرآن ورد فيه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ سورة (ق)، ولم يرد في القرآن الكريم ولا في الكتب السماوية السابقة أصل مادة الكون ونشأته، والعلم البشري عاجز تماماً وقاصر عن إدراك ذلك، فليست هناك حاجة لمعرفة أصل مادة الكون ولا حتى كيفية نشأته، ففي سورة الكهف: ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا﴾. وإذا أراد الله شيئاً إنما يقول له كن فيكون، ولكن الإنسان مدعو إلى التأمل والبحث في بديع صنع الله في الكون، فهو سبحانه أتقن كل شيء ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾. وفي كلمة (أفلا) الحث والتحريض واللوم لمن لا يتأمل؛ وذلك لأن النظر والتدبر في الآيات الكونية يؤدي إلى اليقين (الموقنين في الآية السابقة)، واليقين هو سكون القلب واطمئنانه وإخباته إلى عظيم قدرته في خلق الكون.

الجزء الثاني - مع آيات الله على الأرض:

الباب الثامن - كوكب الأرض:

إن الأرض ليست كروية تماماً ولكنها مفلطحة قليلاً؛ حيث إن محيطها عن خط الاستواء يزيد 42 كم عن محيطها عند القطبين. ويقول المولى عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا...﴾ الرعد (41). وقد آله الإنسان الأرض عبر فترات التاريخ البشري، ونبه القرآن الكريم أن العبادة لا تكون للأرض وإنما هي لرب الأرض خالقها وخالق كل شيء. وقد وردت عبارة ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا...﴾ في أكثر من 12 آية (الإسراء 102، والكهف 14، ومريم 65، والأنبياء 56، والشعراء 24، والدخان 7....).

وفي 1957/10/4م أطلق الروس أول مركبة فضائية (سبوتنيك)، ثم تلتها مركبات فضاء أخرى روسية وأمريكية. وأخذت آلاف الصور للكون تبين صحة كروية الأرض التي سبق أن أشار إليها علماء الإغريق منذ الألف الأولى ق.م. وتنبه الآيات القرآنية الكونية إلى حدوث تعاقب الليل والنهار بمشيئة الله عز وجل.

اختلاف الليل والنهار: هذا بأمره - عز وجل - وحده، وطولا النهار والليل

يتغيران مع خطوط العرض والفصول الأربعة، ويوضح المؤلف الحكمة الإلهية في اختلاف الليل والنهار من حيث الطول وعدد ساعات شروق الشمس ودرجة الحرارة بأنه يؤثر في تنوع المناخ ومن ثم تنوع النباتات الطبيعية والمحاصيل الزراعية، وييسر للإنسان الحياة على سطح الأرض، وجعل الله سبحانه وتعالى من تعاقب الليل والنهار أوقاتاً لعمل الإنسان، وتجديد نشاطه وأن يكون الليل لراحته.

القمر The Moon:

إن القمر هو تابع طبيعي لكوكب الأرض، وهو جسم كوني صخري لا يشع ضوءاً وهو ليس محاطاً بغلاف جوي، فليست هناك مياه ولا تيارات هوائية فوق سطحه. وسطح القمر يتكون من جبال مرتفعة وشقوق تكون بفعل مفتتات النيازك التي هبطت عليه. وهو يتكون من صخور البازلت، وسطح القمر يتأثر بأشعة X والأشعة البنفسجية اللتين تشعهما الشمس. ولم يتعرض القمر لنشاط بركاني. وبعض العلماء يعتقدون أن القمر هو جزء انفصل من الأرض تاركاً وراءه المحيط الهادي. والشهر القمري يبلغ 29 يوماً، 12 ساعة، 44 دقيقة، 3 ثوان. ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ﴾؛ هلال ثم تربيع أول، ثم تربيع ثان، ثم هلال (محاق).

والشهور القمرية عند المسلمين هي للعبادة، صوم رمضان، وعيد الفطر، وأشهر الحج وعيد الأضحى والأشهر الحرام ومواعيد إخراج زكاة المال.... إلخ. ويحدث كسوف الشمس عندما يكون القمر بين الشمس والأرض على خط مستقيم واحد، وهو إما أن يكون كلياً أو جزئياً أو حلقياً. ويحدث خسوف القمر عندما تكون الأرض بين الشمس والقمر على خط مستقيم واحد وهو يحدث تدريجياً. ويشير المؤلف إلى أن العلم الوضعي يعجز تماماً عن تحديد كيفية نشأة القمر وكذلك كيفية تعرضه للانقسام إلى نصفين ثم التحامهما من جديد، فكل هذه الأمور تعد أموراً غيبية تقع في علم الله وحده.

الباب العاشر - قشرة الأرض:

يبلغ سمك قشرة الأرض 30 ميلاً، وهي مقسمة إلى طبقتين: (السيما) وهي القسم الأسفل من القشرة الأرضية وتتكون من سيليكات المغنيسيوم وتتكون منها أراضي البحار والمحيطات. و(السيال) القسم الأعلى الذي يتكون من سيليكات الألومنيوم وتكون صخور القارات.

والحجر الأسود في الكعبة المشرفة كما تقول عنه بعض الروايات والأحاديث المنقولة لا يشبه أي نوع من أحجار الأرض النيزكية، وأنه نزل بقدرة الله - عز وجل - من الجنة وكان أبيض اللون واسودَّ من ذنوب البشر. ويرى المؤلف أنه ليس من الصواب أن يؤكد بعض الكتاب نزول الحجر الأسود من الجنة علمياً. فما يطرحه العلم الوضعي في هذا الشأن وفي نشأة أي شيء إنما هو نظريات ظنية غير مؤكدة عن يقين.

الأرضون السبعة: في بداية القرن العشرين حفر الإنسان الآبار إلى عمق حوالي 4 أميال وهي مسافة تعادل 1000/1 من سمك الأرض، وبحساب سرعة موجات الزلازل المارة في داخل الأرض وبقياس متوسط كثافتها فقد ميز العلماء سبعة نطاقات مختلفة الكثافة في داخل الأرض في خواتيم سورة الطلاق: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾.

العوامل المؤثرة في تشكيل سطح الأرض:

العوامل التكتونية السريعة:

الزلازل: وهي هزات أرضية سريعة تحدث لمدة ثوان قليلة، وتحدث آلاف المرات سنوياً وأحياناً تكون قوية وتضرب المناطق المأهولة بالسكان وتسبب خسائر بشرية ومالية فادحة، والزلازل تحمي الأرض من حدوث انفجار داخلي هائل قد يقضي عليها تماماً.

الزلازل المحيطية (والتسونامي): وهي تتمركز في مناطق الضعف الجيولوجية في قيعان البحار وعلى طول الخنادق المحيطة العظمى المجاورة لجزر اليابان والفلبين وأندونيسيا، وينجم عنها ارتفاع مستوى سطح البحر ونشوء الأمواج الطويلة السريعة في المياه السطحية للمحيطات، التي تؤدي إلى خسائر بشرية ومالية فادحة على طول السواحل التي تغمرها بالمياه.

البراكين: التي تطلق الحمم والمصهورات البركانية المنبثقة من باطن الأرض، كما قد تدمر وتحرق البلاد وقد تسبب خسائر بشرية ومالية فادحة، ويرى المؤلف أن البراكين هي أساس الحياة على سطح الأرض، فلولا حدوثها لانفجر كوكب الأرض تبعاً لانصهار باطنه، ويسهم انبثاق المصهورات البركانية في تكوين قشرة الأرض وصخورها، كما تنشأ الغازات البركانية وتظهر على السطح مكونة الغلاف الغازي الذي يتعرض لعملية التكاثف وتكوين السحب، ثم نزول المطر وجريان المياه على سطح الأرض وتجمعها في البحار وتكوين الغلاف المائي الذي خلق الله - سبحانه وتعالى - منه كل شيء حي على الأرض.

وقد أشار القرآن الكريم إلى انبثاق مياه الأرض (مياه البحار والمحيطات والبحيرات والأنهار) جميعها من باطن الأرض (مع حدوث البراكين) وذلك في آية واحدة هي الآية رقم (31) في سورة النازعات. يقول المولى عز وجل: ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾﴾. وهكذا ينبه القرآن الإنسان إلى حقيقة مصدر المياه على سطح الأرض منذ أكثر من أربعة عشر قرناً. ولم يدرك العلم الوضعي ذلك إلا حديثاً.

تعزى أسباب تعرض قشرة الأرض لحركات رفع تكتونية بطيئة إلى الاضطرابات التي تحدث في باطن الأرض (تبعاً لدوران الأرض حول مركزها وتجمع المعادن الثقيلة في باطنها وتركز المواد المشعة فيه وتعرض مواد باطن الأرض للانصهار)؛ وذلك كله بمشيئة الله - عز وجل. وقدر الله - سبحانه وتعالى - أن تتعرض قشرة الأرض لحركات رفع تكتونية بانية للجبال خلال أزمنة جيولوجية مختلفة لرفع أجزاء من الأراضي المنخفضة ومن البحار ودفعها إلى أعلى على شكل جبال وهضاب حتى تتنوع تضاريس سطح الأرض وتتعدد مواردها ونعمها لخدمة حياة الإنسان على سطح الأرض.

وقد أقسم الله - سبحانه وتعالى - في سورة الطارق بالأرض ذات الصدع، وقد اختلف المفسرون حول تفسير كلمة «الصدع» ويرى البعض أن «الصدع» يرمز إلى تشقق التربة لكي ينمو فيها النبات، في حين يرى المؤلف أن الصدع أو حدوث تصدع في قشرة الأرض يحدث عن زحزحة رأسية أو أفقية. ويرى أن الأرض في بداية تكوينها (بحسب العلم الوضعي). وهكذا نشأت القارات وشغلت مساحات واسعة من سطح الكرة الأرضية، وتشكلت بظروف مناخية مختلفة حتى تتعدد فيها نعم الله - عز وجل - تسهيلاً لاستمرار حياة الإنسان عليها.

الباب الحادي عشر - المظاهر التضاريسية الكبرى لسطح الأرض وأهميتها للإنسان:

جعل الله - سبحانه وتعالى - سطح كوكب الأرض متنوع التضاريس لتعدد المنافع للناس في كل مكان وزمان. ويتألف سطح الأرض من مظاهر تضاريسية كبرى ممثلة في السلاسل الجبلية والهضاب الواسعة والسهول المترامية الأطراف والتلال المتناثرة والبحار والبحيرات والخلجان والأنهار والينابيع والعيون الماشئية. وكل من هذه الظواهر المختلفة موزعة بمشيئة الله - عز وجل - توزيعاً محكماً

وبقدر مقنن وفق سنن مقررة بتقدير العزيز الحكيم. وسخر الله - تبارك وتعالى - كل ظاهرات الأرض التضاريسية الكبرى لمنفعة الإنسان وجعلها له ذلولاً. وجعل بين البحرين العذب والفرات والملح الأجاج برزخاً وحاجزاً محجوزاً. وهكذا صارت الأرض قراراً وفراشاً ومهداً وبساطاً للإنسان. يقول المولى عز وجل: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشٌ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ الأعراف 10. وأشار المؤلف إلى تفسير الآية الكريمة رقم (7) في سورة النبا: ﴿وَالْجِبَالِ أَوْتَاداً﴾ في ضوء العلم الوضعي الذي يرجح أن السلاسل الجبلية لها جذور مغروسة في قشرة الأرض وكأنها أوتاد مثبتة في الأرض حفاظاً على التوازن الاستاتيكي للأرض.

الفصل الثاني عشر - الغلاف الجوي لكوكب الأرض:

الغلاف الجوي هو غطاء سميك من الغازات يحيط بالكرة الأرضية من جميع الجهات، ويرأوح سمكه من 100 إلى أكثر من 200 ميل، ويقدر وزنه بنحو 5.6×10^{15} طن ويتجمع أكثر من ضعف كتلة الهواء بالقرب من سطح الأرض حتى إن 99% من إجمالي كتلته لا تبعد أكثر من 20 ميلاً من سطح الأرض. ويتألف أساساً من النيتروجين (75.5%) والأكسجين (23.1%) وغازات أخرى بنسب قليلة جداً. وخلق الله - سبحانه وتعالى - الغلاف الجوي للأرض بمشيئته وجعل التركيب الكيميائي للغازات يحقق للإنسان استمرار الحياة على سطح الأرض.

وتنبه الآيات القرآنية الكريمة إلى «جو السماء» أي القسم الأسفل من الغلاف الجوي (التروبوسفير)، ويقول - عز وجل -: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ...﴾ النحل (79)، ﴿...وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ...﴾ البقرة (164)، وأشارت الآيات القرآنية إلى عملية ضيق التنفس عند صعود الجبال (دوار الجبال) تبعاً لانخفاض مقدار الضغط الجوي، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿...وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ...﴾ الأنعام (125).

كما أشارت الآيات القرآنية إلى حدوث العواصف الرملية وما تسببه من خسائر وحرائق وهلاك البشر. يقول المولى - عز وجل -: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيْحَ الْعَقِيمَ﴾ الذاريات (41)، ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَآ أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ في سُمُومٍ وَحَمِيمٍ

الواقعة (41-42). وأوضح المؤلف أن الآيات القرآنية نبهت الإنسان على كيفية تكوين السحب بأنواعها المختلفة وهطول الغيث (المطر) والبرد منها بمشيئة الله - عز وجل - . يقول سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْسِلُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ...﴾ (النور (43)، كما تنبه الآيات القرآنية على حدوث عواصف الرعد والبرق والصواعق وأخطارها. يقول المولى - عز وجل - : ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ...﴾.

الفصل الثالث عشر - الغلاف المائي لكوكب الأرض:

يمثل الغلاف المائي كل المسطحات المائية الملحية والعذبة الموجودة على سطح الأرض. ويوضح المؤلف أن الماء هو أساس الحياة على سطح الأرض. وأشارت الآيات القرآنية الكريمة إلى أن الماء هو سبب نشوء الحياة على كوكب الأرض، وخلق الله - تبارك وتعالى - من الماء كل شيء حي.. وقد كانت الأرض ميتة حتى عصر ما قبل الحياة (ما قبل الكبرى منذ نحو 600 مليون سنة) وبعد حدوث النشاط البركاني الهائل في بداية الزمن الجيولوجي الأول وتكوين الغلاف الغازي (من غازات البراكين) وتكاثف الغازات وتكوين السحب، نزل الماء الذي أدى بدوره إلى تكوين الغلاف المائي على سطح الأرض وأحيا الله - سبحانه وتعالى - الأرض بعد موتها. وخلق الله - عز وجل - الموت قبل الحياة. يقول سبحانه: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ...﴾ (الملك (2)، ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ (٢٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ (النازعات (30-31)).

وفي نهاية هذا الفصل عرض الباحث لتحليل علمي تفصيلي عن البحرين العذب الفرات والملح الأجاج. يقول المولى - عز وجل - : ﴿مَجَّ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ (١٩) يَبِينُهُمَا بَرْزُخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ (٢٠) فَبِأَيِّ آيَةٍ رَكِبْنَا تَكْذِبَانَ﴾ (٢١) الرحمن (19-21).

وقد اختلف المفسرون في تحديد هذين البحرين ونسبوا إليهما بصيغة المبني للمجهول، كما اختلفوا في تحديد معنى البرزخ الذي يفصل بين هذين البحرين، واقترح المؤلف آراء جديدة تطرح لأول مرة في هذا الشأن.

وبعد، هذا موجز لما جاء في كتاب (المعجزات العلمية في القرآن الكريم: آيات الله - عز وجل - في السماوات والأرض).